اديب نحوي ، عرس فلسطيني (بيروت ، العودة ، ١٩٧١)
جبرا ابراهيم جبرا ، السفينة (بيروت ، النهار ، ١٩٧١)
رشاد ابو شاور ، ذكرى الايام الماضية (بيروت ، الطليعة ، ١٩٧١)

ثلاثة اعمال ادبية ظهرت في الاونة الاخيرة ، يتقاسمها ويجمعها الاحتفال بالفلسطيني الجديد ، الفدائي ، وتفترق في النظرة الى معطياته وآفاق فعله : الاجتماعية والانسانية . وكذلك لكل منها شأنها الفني . في مقدمة هذه الاعمال التي تستحق القراءة والالتفات ، تبرز رواية « عرس فلسطيني » للكاتب الحلبي اديب نحوي . ولعل هذه الرواية هي الاولى في العربية — الى جانب اعمال الطيب صالح — التي في الامكان اعتبارها رواية غنائية ، اضافة الى الادب الذي يتخذ من فلسطين كواقعة تاريخية ، موضوعا ومادة له . لقد تمكن اديب نحوي عبر صياغة عفوية آسرة تتوسل صياغة التوراة ، من ان يبعث اسمى واعمق تقاليدنا في الفولكلور ، وان يوظف هذه التقاليد الراسخة في المخيلة والوجدان الشعبي، لخدمة الفكرة الوطنية ذات الافق التقدمي . وهذا اللون والمنحى في الكتابة ، يعد امتيازا له . فما هي الخطوط العريضة للرواية ؟ فهد البصاوي احد ابناء المخيم ، يعقد قرانه على فاطمة احدى صبايا المخيم. وهذه الصبية يتيمة الابوين : والدها يرقد في تراب الوطن ، بعد أن قضى وهو يتنكب بارودته العثمانية . ووالدتها قضت عندما داهم « السيل » المخيم قبل « خمسة عشر عاما » وظلت تحتفظ بقطعة من ثوب طفلتها في يدها ، وكانت الطفلة قد انقذت وهي على شفا هاوية . وفي ليلة العرس ، يستعد اهالي المخيم وضيوفهم « الشباب » للاحتفال باليوم المشهود . وقد كان فهد ذهب لعند والد فاطمة حتى يستأذنه « نغير الطريقة من مخيمية الى بصاوية : انه لا بد للزواج من اذن . ومن بصاوية عتيقة الى بصاوية جديدة : ان العريس هو الذي يستأذن نيابة عن عروسه». اما فاطمة التي ستتزوج دون استئذان ، فلا بد لها أن « تخرج » الى عريسها من عند امها . وهكذا ذهبت الى تراب امها في شمال المخيم . وبعد أن يكتمل عدد الزوار ، وبعد أن تقام مظاهر الفرح والطرب ، يبقى انتظار زفة العريس الى عروسه ، الذي ذهب الى جبل البصة في فلسطين وبيده السر : فشك غير مستربط . اما فاطمة فقد رجعت بعد أن اذنت لها امها . واخيرا وبعد ان ينتصف الليل ، يطل موكب العريس ، بعد طول انتظار . فهجمت العروس قبل اهل العريس عليه. ثم تبعها أهل العريس و« أهل ضيعته وبقية احبابه والضيوف » . « والبعض حملوا اطفالهم عاليا فوق اكتافهم .. فوق رؤوسهم . وكان الاطفال يبوسون ، يمرغون خدودهم الصغيرة ، ويبوسون» ثم مشوا جميعا بالنعش تجاه الساحة . وفي الطريق وهم يحملونه على الاكتاف كان لا بد ان يكتمل العرس . أبو فهد يسأله ابنه ان كان وصل، فيجيب رفاقه : وصلنا . وتسألهم عمة فاطمة عن العلامة فيقولون : بارودة عثملية عتيقة ثم يقول رفاق فهد : والفهد ربط برأسها ثوب فاطمة الصغير المقصوص من ذيله وغرسها فوق قبر ابي فاطمة . وقالوا خذوا لراية البصاويين التحية . ضربنا لها من بنادقنا السلام . ثم تستلم فاطمة من رفاق فهد هدية عريسها اليها : بندقية فهد . فتنظر الى الثلاثة وعشرين لمبة التي تحيط بلمبة فلسطين الكبيرة ، المزينات في الساحة . وفي كل مرة تصيب لمبة صغيرة تتوهج لمبة فلسطين الكبيرة « وكأن الشمس قد اخذت تسطع على المخيم مباشرة ، من فوق جبل البصة » .

قد تتهم هذه الرواية بالميلودراما ، وباعتمادها على الفدائي : شهيدا ومخضبا بحب الوطن . لكن هذه التهمة ليس صعبا دحضها . فالرواية لا تنتهي بموت البطل ، بل باستلام البطلة للسلاح : اداة الحياة الجديدة . وليس المناخ المأساوي الذي يشيع في الرواية ، الا من سبيل الغاء قيم جديدة على ما يمثله موت الفدائي . ففي موت الفدائي حياة اخرى للمخيم ، وليس مجرد انكسار فردي لشخص ما . وهكذا : ان في موت الفدائي ، واستئناف رفاقه القتال واختيار ابنة المخيم للسلاح ، ما يجعل هذا العرس بشارة قتال . على هامش ذلك لا بد من ايراد ملاحظات : * لم يكن اختيار المؤلف لاهالي المخيم مادة بشرية لروايته ، صدفة فنية . فخلف هذا الاختيار تكمن قناعة المؤلف العميقة والاصيلة بأن هذا القطاع من الفلسطينيين هو مادة الثورة الان ، كما كان